نظرية أفعال الكلام
دراسة تطبيقية تتناول أمثلة من كتابي
(المقدمة لابن خلدون، ونظرات في النفس والحياة لعبدالرحمن شكري)

الباحثة/ شيخة بنت عبيد بن عبد الرحمن البشر

ماجستير اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب- جامعة الملك سعود

مدخل:

لم يعد التيار البنيوي، في أيامنا، هو التيار الوحيد الذي يهيمن على ساحة الدراسات اللسانية، فقد أفرزت المعرفة المعاصرة نظريات ومفاهيم لغوية متباينة في الأسس المعرفية، انبثقت عنها تيارات لسانية جديدة منها التيار التداولي، وهو التيار الذي يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي يُنجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من "الخطاب" رسالة تواصلية "واضحة" و"ناجحة"، والبحث في أساليب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية، الخ...وهذه هي أهم الاهتمامات والقضايا التي تميّز "اللسانيات التداولية" عن غيرها.

ويقع المفهوم اللغوي المعروف بـــ"**الأفعال الكلامية**" في موقعٍ متميّز من هذا التيار ويشكّل جزءا أساسيا من بنيته النظرية، إذ هو الركن الأول من أركان هذا المنهج والدعامة الكبرى له، فمن نظرية الكلام كانت انطلاقة التداولية ، باعتراف وتصريح العلماء الغربيين المؤسّسين لهذا التيار أنفسهم[1]، مدارس التحليل اللغوي عمومًا تنطلق[2] من قناعة مفادها أنك تستطيع حل مشكلات فلسفية تقليدية معينة عن طريق فحص منطق التعبيرات العادية التي تستعمل في مناقشة هذه المشكلات. فلو كنت معنياً – مثلاً– بالمعرفة ودرجاتها وحالات الشك، فلابد أن تحلل وتدقق في كلمات من قبيل

١ينظر فان ديك، النص والسياق ، ترجمة: عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، دت، ص٢٥٥. و " Quand dire : François Récanati- Naissance de la pragmatique-Ppstface de c'est faire-traductionde Gilles Lane-le Seuil-Paris–١٩٩١-p١٨٥. نقلًا عن أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية : مدخل نظري، منشورات عكاظ، ١٩٨٩، ص ١٥ وما بعدها " .

٢ ينظر : الفلسفة الغربية وقراءة النص ، الشيخ مرتضى الفرج ، العدد (٤٤) السنة ٢٠ – ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م ، مجلة البصائر .

«شك»، «يقين»، «معرفة»... إلخ، ولو كنت معنياً بحل مشكلة الإرادة، فلابد أن تحلل وتدقق في كلمات من قبيل «إرادي»، «لا إرادي»، «يستطيع»... إلخ، وهكذا.

ولقد تطور منهج التحليل اللغوي إلى حد بعيد في العالم الأنجلوساكسوني، وبلغ مداه في العقدين الرابع والخامس من القرن العشرين[١]، ولا زال يحتل حتى يومنا هذا مكانة مهمة من فلسفة العالم الناطق بالإنجليزية، وإن صارت بعض تياراته بحكم الميتة فعلاً، كالوضعية المنطقية.

يستخدم «التحليل» من حيث هو مصطلح منطقي وفلسفي ليشير إلى المعنى ذاته الذي تستعمل به كلمة «تحليل» في اللغة العادية، أي تفتيت أو فك المركب إلى أجزائه التي يتكون منها. والتحليل اللغوي لا يُعنى بتحليل المفاهيم والأفكار بغية اكتشاف المبدأ الكامن وراءها، كما لا يعنى بتحليل الفكر والمعرفة إلى عناصرها الأولية، وإنما يعنى بتحليل اللغة دلالةً وتركيباً.

من أهم خصائص مدرسة التحليل اللغوي، على اختلاف تياراتها وتباين مواقفها، ما يلي:

- إيمانها بدور اللغة الفعال في الفلسفة.
- اتجاهها إلى تفتيت المشكلات الفلسفية إلى أجزاء صغيرة لمعالجتها جزءاً جزءاً.
- خاصيتها المعرفية.
- المعالجة البين شخصية لعملية التحليل.

ومن بين نظريات التحليل اللغوي نظرية أفعال الكلام، التي ستتولاها هذه الدراسة بشيء من الإيضاح والتحليل من خلال بين مفاهيمها ومنطلقاتها ومراحل نشأتها وتطورها بالإضافة إلى التأصيل لها في العربية بوصفها نظرية غربية حديثة ، أيضًا تعرض هذه الدراسة النقد الموجه لهذه النظرية إذ لا يسلم أي عمل من الانتقادات و التوجيهات .

وهذه الدراسة جاءت ممزوجة ومزودة بأمثلة من نصوص مختلفة من كتابين اثنين هما :

- مقدمة ابن خلدون
- نظرات في النفس والحياة

١١ ينظر : المرجع السابق

إلى جانب بعض الأمثلة البسيطة التي أوردتها الدراسة للتوضيح.

نظرية أوستن :

تعود أصول نظرية أفعال الكلام إلى عهد أرسطو والفلاسفة اليونان الذين عمدوا إلى دراسة أقسام الكلام لدراسة القضايا المنطقية، حيث ميزت هذه الدراسات " الصيغة الخبرية عن صيغ التمني والأمر وغيرها، فحصرت بالصيغ الخبرية وهي التعبير اللفظي عن القضية ..." [١].

كتب أرسطو في الفصل الأول من كتاب التأويل :"كل جملة ذات دلالة(...) لكن ليس كل جملة هي تقريرية إلا تلك التي فيها صدق او كذب.ليس هناك من صدق أو كذب في كل الجمل :فالدعاء جملة لكنها ليست صادقة و لا كاذبة"[٢].

لقد خرجت هذه النظرية [٣]من رحم مدرسة التحليل اللغوي،، ويأتي على رأس أصحاب هذه النظرية: أوستن، حيث انطلق من النقطة التي لاحظها قبله فتجنشتاين، والتي أكد فيها على أن مهمة اللغة لا تنحصر في عملية تصوير أو وصف الأشياء، بل نحن نستعين باللغة لإصدار أوامر، وللتعبير عن مشاعرنا، وللتحذير، والتنبيه، والاستثارة، ولوضع أسئلة... إلخ.

ويعتبر الالتفات إلى هذه النقطة لحظة تحول مهمة في مدرسة التحليل اللغوي، لأن بعضهم أصر على أن العبارات التجريبية هي فقط العبارات ذوات المعنى، بالإضافة إلى قضايا المنطق والرياضة، وحذفوا كل ما عداها من عبارات من دائرة المعنى، مثل عبارات الميتافيزيقا والأخلاق والجمال بحجة أننا لا نجد لها من وقائع العالم ما تطابقه.

وتقوم نظرية أفعال الكلام Theory of speech acts على النظر إلى اللغة على أنها أداء أعمال مختلفة في آن واحد، وما القول إلا واحد منها، فعندما يتحدث المتكلم فإنه في الواقع يخبر عن شيء، أو يصرّح تصريحا ما، أو يأمر، أو ينهى، أو يلتمس، أو يَعد، أو يشكر، أو يعتذر، أو يحذّر، أو يدعو، أو يسمي، أو يستغفر، أو يسبح، أو يمدح، أو يذم، أو يحمد الله، أو يعقد صفقة تجارية، أو يتزوج، أو يطلق، إلخ[٤].

١مجلة الوصل، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة تلمسان، العدد الأول، جانفي ١٩٩٤، نظرية المقاصد بين حازم ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة، محمد أديوان، جامعة الرباط، كلية الآداب، ص٣٨

٢ جريدة الجريدة ، نظرية أفعال الكلام ، عادل الثامري ، ٢٠٠٦ ، http://www.aljaredah.com

٣ ينظر : الفلسفة الغربية وقراءة النص ، الشيخ مرتضى الفرج ، العدد (٤٤) السنة ٢٠ – ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م ، مجلة البصائر

٤نظرية أفعال الكلام ، محمد محمد يونس علي، السبت ٩ يناير ٢٠١٠ – ١٨:٢٩، منتديات تخاطب ، http://www.ta٩atub.com

فالفعل الكلامي" هو كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، ويعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعال قولية locutionary act لتحقيق أغراض انجازية كالطلب والأمر والوعد والوعيد، وغايات تأثيرية locutionary actاتخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول، ومن ثم فهو فعل تأثيريا أى يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا أو مؤسساتيا، ومن ثم إنجاز شيئا ما [١].

ويمكن تقسيم هذه الأفعال إلى :

- أفعال إخبارية: تصف وقائع، وتكون صادقة أو كاذبة.
- أفعال أدائية: ننجز بها في ظروف ملائمة أفعال، ولا توصف بصدق أو كذب، ويدخل فيها: التسمية، والوصية،و الاعتذار، والشكر، والمواساة، والنصح، والوعد، والتحدي، والإذن..إلخ.[٢]

هذه الأفعال هي أفعال ينجزها الإنسان بمجرد التلفظ بها في سياق مناسب، بجملة نعبر بها عن مدلول إنجاز ذلك العمل.[٣] فليس التلفظ بالخطاب فعلاً تصويتياً فحسب، بل هو فعل لغوي، فهناك أعمال لا يمكن إنجازها إلا من خلال اللغة، وهذا ما يجعل الخطاب فعلاً بمجرد التلفظ به،[٤] وذلك مثل: نلتمس الموافقة. شكراً. أنت طالق.

أهمية الفعل الكلامي[٥] :

يشير أحمد الحلفاوي في رسالة قدمها لنيل شهادة الدكتوراة في اللسانيات بفرنسا إلى أن أهمية الفعل الكلامي تكمن في أنه يرتبط بعناصر ثلاثة وأساسية لدراسة اللغة هي : الوظيفة والشكل و التعاقدات الاجتماعية .

وأحسن مثال على ذلك الفعل : " اقرأ" الذي أمر به الملك جبريل الرسول عليه الصلاة او السلام وهو في غار حراء ، ويشكل هذا الفعل دعوة للمسلمين للقراءة بجميع معانيها والبحث والغوص في شتى أنواع العلوم والمعارف ، وكان لهذا الفعل الكلامي

---

١ ويكيبديا http://ar.wikipedia.org/wiki

٢ ينظر : المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو ، تحقيق سعد علوش، دار الانتماء القومي ، بيروت ، ١٩٨٧، ص ٦١ . و آفاق جديدة في البحث **اللغوي المعاصر** ، **محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية** ،٢٠٠٢ ،ص ٤٤.و اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق)(الموسوعة اللغوية، تحرير:ن. ي. كولنج، جيفري ليش، وَ جيني توماس،، ترجمة: محي الدين حميدي وعبد الله الحميدان(الرياض، جامعة الملك سعود، ٢٠٠٠) ،ص ١٧٥.

٣ البراغمتية وعلم التراكيب بالاستناد إلى أمثلة عربية ، عثمان طالب ،الجامعة التونسية، أشغال الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، ١٩٨٦، ص١٣١ .

٤ الأفعال الكلامية عند الأصوليين ، مسعود صحراوي، مجلة الدراسات اللغوية، يوليو– سبتمبر، ٢٠٠٤ ،الرياض، ص ١٩٩. والمقاربة التداولية ، فرانسواز أرمينكو، ص ٦٠.

٥ ينظر : نحو قراءة جديد للتراث العربي والإسلامي بالوقوف على تداولية الأفعال الكلامية ، عمر بلخير و فاطمة الزهراء بوكرمة ، خطاب التجديد في الدراسات العربية بين النظرية والتطبيق ، جامعة إمام بونجول الإسلامية، ٢٠١٣ ،(نسخة الكترونية)

الفضل في إخراج العرب من غياهب الجهل والظلام إلى أنوار المعرفة والعلم والحضارة ، في الوقت الذي كانت فيه بقية الشعوب تسبح في ظلام دامس من الجهل .

ومن مقدمة ابن خلدون فإننا نجد على غرار الآية السابقة آية أخرى وهي "وإنا سنلقي عليك قولًا ثقيلًا " التي جاءت في ذكر قصة نزول الوحي فظاهر هذه الآية فعل كلامي غايته إخبار الرسول صلى الله بنزول الوحي، ونتج عن هذا الإخبار التزام الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا القول –الوحي– وتكفله بنشره والدعوة إلى دين الله واستمر أثر هذا القول إلى جميع البشر بعده من خلال الوحي القراني الذي كان الرسول وسيطًا لنقله إلى المسلمين ومن خلال أحاديثه التي رواها الصحابة عنه .

كما لفتت هذه النظرية الانتباه إلى أن اللغة ليست للإخبار ونقل الأفكار فقط، بل تؤدي أيضا وظيفة التأثير الاجتماعي في الآخرين عبر ما يعرف بصيغ العقود أو الصيغ الإنشائية. ويميز عادة بين نوعين من هذه الصيغ: صيغ الأحكام وصيغ الإنجاز، ومن الأولى أحكام المحكّمين، والفتاوى، ونحوها، ومن الأخرى صيغ العقود كقول المطلق لزوجته 'طلّقتك' أو 'أنت طالق'، وقول من أراد أن يتزوج "قبلت' عند عقده للنكاح، وقول البائع 'بعت' والمشتري 'اشتريت'.ومنها أيضا قرارات التعيين، والنطق بالحكم بالسجن ونحوه. ولا تكون هذه الصيغ نافذة إلا إذا صدرت من متكلم معين لمخاطب معين في زمن معين ومكان معين وظرف معين [1].

كل ما سبق يقودنا إلى الحديث عن "أوستن" ومساهماته البارزة في هذا المجال، لأنه يعد من المؤسسين الأوائل لهذه النظرية (أفعال الكلام)، والرواد الذين طوروا الأبحاث في هذا المجال من خلال مجموعة من الأعمال أهمها: تطبيقه نظرية الأفعال اللغوية على الخطاب الأدبي عند "وليام جيمس"، و تتمثل هذه النظرية في أن وظيفة اللغة الأساس لا تكمن في وصف العالم أو التعبير عن الأفكار أو التأمل ونقل المعلومات–أي التوجه الوصفي الذي ندد به "أوستن" وأسماه الوهم الوصفي– بقدر ما هي مؤسسة تعمل على تحويل الأقوال إلى أفعال ضمن سياقات خاصة. ويفهم من هذا أن هناك أقوالا تتم في إطار اجتماعي ومؤسساتي تصبح أفعالا منجزة بمجرد النطق بها، مثل قول الرئيس:" أعلن حل البرلمان أو الدستور"،أو قول القاضي :"فتحت الجلسة" [2] .

١نظرية أفعال الكلام، محمد محمد يونس علي، السبت ٩ يناير ٢٠١٠ – ١٨:٢٩، منتديات تخاطب ، http://www.ta٥atub.com

٢ أفعال اللغة و الخطاب الأدبي، خليفة بولفعة ، جامعة الأغواط ، موقع الأستاذ محمد جابري ، http://www.mhammed-jabri.com

ومثال ذلك الأقوال والنظرات التي قدمها عبدالرحمن شكري في كتابه " نظرات في النفس والحياة " إذ نستطيع القول بأن سياق هذه النظرات جاء في إطار محاولة وصف النفس والبحث في دهاليزها والكشف عن أغوارها –على سبيل التأمل والتفكير لا على طريقة القصص والتصوير – لتكون بمثابة إما وصف هذه النفس أو إثبات حقائقها أو التحذير من نزواتها لتصبح أفعالًا تنجز أثرًا لدى متلقيها .

توصل أوستن إلى التمييز بين ثلاث أنواع من الأفعال اللغوية ، فلقد وجد أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال، تعد جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد، ولا يفصل أحدها عن الآخر .

الفعل اللفظي: يتألف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدد وهو المعنى الأصلي، وله مرجع يحيل إليه.

الفعل الإنجازي: وهو ما يؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي.(كالتحذير من عمل شيء، أو رجاء عمل شيء...)

الفعل التأثيري: ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع (أن يسعد، أن يغضب..).[1]

فعلى سبيل المثال: حين تقول أم لطفلها:(الكلب يعض)

فإنها تنجز فعلاً قولياً لفظياً منطوقاً، وحين تقول الأم هذه الجملة فإنها تنطق تحذيراً في ا لوقت نفسه أي تنجز فعلاً إنجازياً، وحين يختار الطفل طريقاً آخر فإن ذلك هو النتيجة والأثر للمنطوق نفسه.[2]

ورأى أوستن ان الفعل اللفظي لا ينعقد الكلام إلا به، والفعل التأثيري لا يلازم الأفعال جميعا فمنها ما لا تأثير له في السامع،فوجه اهتمامه إلى الفعل الإنجازي وأنشا النظرية الإنجازية [3].

فالجديد الذي يخالف به أوستين الفلاسفة الكلاسيكيين، إدخاله مفهوم "**القصدية** في فهم كلام المتكلم وفي تحليل العبارات اللغوية .

وعلى ذلك يميز أوستين بين الجمل الخبرية والجمل الإنجازية، وتتنوع هذه الأقوال الإنجازية إلى أقوال ظاهرة وأقوال مضمرة. فالأقوال الإنجازية قد تكون لها قوة

١ينظر : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر *الشهري*، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا ، ٢٠٠٤ ، ط١ ، ص ٧٥. و مدخل إلى علم لغة النص، فولنجانج هانيه مان، وَ ديتر فيهفجر، ترجمة: سعيد بحيرى ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤، ص ٥٢.

٢ مدخل إلى علم لغة النص، فولنجانج هانيه مان، وَ ديتر فيهفجر، ،ص ٥٥.

٣ ويكيبديا http://ar.wikipedia.org/wiki

حرفية، مثل: الاستفهام، والتمني، والأمر... وقد تكون لها قوة إنجازية حوارية وسياقية، مثل: الالتماس، والإرشاد، والتهديد، والتحسر.[١]

وقد قدم أوستن تصنيفاً للأفعال الكلامية على أساس قوتها الإنجازية إلى :

الحكمية : وتقوم على الإعلان عن حكم تأسس على البداهة مثل : إخلاء الذمة، واعتباره كالوعد .

التمرسية : تقوم على إصدار قرار لصالح أو ضد سلسلة أفعال، مثل: أسس، وقاد، ودافع عن، وترجى، وطلب، وتأسف...إلخ.

التكليف: ويلزم المتكلم بسلسلة أفعال محددة، مثل: وعد، وتمنى، والتزم بعقد، وأقسم...إلخ.

العرضية: تستعمل لعرض مفاهيم، وبسط موضوع، وتوضيح استعمال كلمات وضبط مراجع، مثل: أنكر، أجاب، أكد...إلخ.

السلوكيات: يتعلق الأمر بردود فعل اتجاه سلوك الآخر، مثل: الاعتذار، الشكر، التهنئة...إلخ.[٢]

وعلى الرغم مما قدمه أوستن إلا إنه لم يكن كافيا، فجاء جون سيرل فأحكم وضع الأسس المنهجية التي تقوم عليها نظرية الأفعال الكلامية، فقد لمس بعض الاضطراب في تصنيف أوستن، فارتكزت إعادته للتصانيف على عدد من المعايير هي:

نص سيرل على أن الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي وأن للقوة الإنجازية دليلاً يسمى دليل القوة الإنجازية، يبين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه للجملة، ويتمثل في نظام الجملة، والنبر، والتنغيم، وعلامات الترقيم. [٣]

فالفعل الكلامي أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم، بل هو مرتبط أيضاً بالعرف اللغوي والاجتماعي.[٤]

قدم سيرل تصنيفاً بديلاً لما قدمه أوستن من تصنيف للأفعال الكلامية، على ثلاثة أسس منهجية هي:

- الغرض الإنجازي.

---

١ قصيدة «نشيد الجبار»، لأبي القاسم الشابي ، ١٧تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠١٢بقلم جميل حمداوي http://www.diwanalarab.com

٢ المقاربة التداولية، أرمينكو، ٦٢.

٣ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، ص ٤٧.

٤المرجع السابق ،ص ٤٧.

- اتجاه المطابقة.
- شرط الإخلاص.[١]

ولقد استطاع سيرل أن يميز بين الأفعال الإنجازية المباشرة، والأفعال الإنجازية غير المباشرة، فبين أن الأفعال الإنجازية المباشرة: هي التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم، أي أن ما يقال مطابق لما يُعنى، أما الأفعال الإنجازية غير المباشرة: فهي التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم.[٢] ولا يمكن للمخاطب أن يتوصل إليها إلا عبر عمليات ذهنية استدلالية متفاوتة من حيث الطول والتعقيد.[٣] وهذه المراحل الاستدلالية التي يمر بها الذهن هو ما تركز عليه الدراسة التداولية.

مثل ذلك إذا قال شخص لآخر: هل تستطيع أن تناولني الملح؟

فهذا فعل إنجازي غير مباشر، إذ قوته الإنجازية الأصلية تدل على الاستفهام الذي يحتاج إلى جواب، وهو مصدر بدليل للاستفهام(هل). لكن الاستفهام غير مراد المتكلم، بل هو طلب مهذب يؤدي معنى فعل إنجازي مباشر هو: ناولني الملح.[٤]

وقد لاحظ سيرل أن أهم البواعث للأفعال الإنجازية غير المباشرة هو التأدب في الحديث. كما أن الأفعال الإنجازية غير المباشرة عند سيرل لا تدل هيئتها التركيبية على زيادة في المعنى الإنجازي الحرفي، وإنما الزيادة فيما أطلق عليه سيرل معنى المتكلم، وأن السامع يصل إلى هذا المراد من خلال مبدأ التعاون الحواري عند جرايس، وإستراتيجية الاستنتاج عند سيرل.[٥]

وقد جعلها خمسة أصناف:

- الاعلانيات (التوكيدات): تلزم المتكلم بصحة محتوى إخباري معين(الإدعاء، الإعلان...

مثال الادعاء " ... خلق السودان على العموم الخفة والطيش وكثرة الطرب فتجدهم مولعين بالرقص على كل توقيع موصوفين بالحمق في كل قطر .... "

فهذا الصنف من الأفعال يلزم المتكلم بصحة قوله فهنا يلتزم ابن خلدون بصحة قوله وقد يلتفت البعض إلى البحث عن أمثلة تنافي هذا القول وتفنده لكن ابن خلدون يتخلص

١ ينظر : المرجع السابق ، ص ٤٩.و إستراتيجيات الخطاب، الشهري،ص ١٥٨.

٢ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، نحلة،ص ٥١.

٣ إستراتيجيات الخطاب، الشهري، ص ١١٧.

٤ دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، أحمد المتوكل،ص ٩٤.

٥ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، نحلة ،ص ٥١.

من ذلك مسبقا باستخدامه لفظ "عامة". وما وراء الفعل الكلامي ما يحصل لنا من العلم بطبيعة الشخصية السودانية وحبها للرقص و أما وصفها بالحمق فهذا وصف ممتد إلى عصرنا الحاضر فالعربيون بشكل عام شاع بينهم وصف أهل السودان بالفكاهة ودارت حولهم الكثير من الطرائف عن أهل السودان .

- التوجيهات (الإرشادية): تحدث تأثير ما عبر فعل المستمع(كالأمر، والطلب، أو التوسل..

مثال الأمر "إعلم أنه قد تبين في كتب الحكماء الناظرين في أحوال العالم ..... المقدمة ، ص ص ٨٦"

"اعلم أن الله سبحانه اصطفى من البشر أشخاصًا فضلهم .... المقدمة ، ص ٩١"

أيضًا قول الرسول صلى الله عليه وسلم "دثريني " فهو لا يطلب منها مجرد التغطية بل يعبر عن حب الرسول لخديجة وتعلقه بها فهو أول ما فزع حين نزول الوحي فر هاربًا إلى حيث المكان الآمن بالنسبة له طالبًا تهدئة روعه فكانت له خديجة خير ملجأ .

- الإلزاميات (التعهديات): تلزم المتكلم بفعل مستقبلي(كالوعد،العرض،أو القسم..

مثال القسم : "والله محيط بعلمه ..... المقدمة ، ٩١ "

مثال الوعد : "ونحن سنبين ذلك في محله .... المقدمة ،ص١١١ " تلفظ ابن خلدون بعبارته هذه في عدة مواضع مقدمًا بها وعدًا أن للموضوع تكملة فهو بهذه العبارة يقطع الحديث عن الموضوع الذي هو بصدده مشيرًا أن للحديث بقية ، وهو كذلك يعطي تصورًا عن موضوع جديد يفصل به الموضوع الذي انقطع عنه و لم يتمه.

- التعبيرات: تعبر عن حالة نفسية معينة(كالشكر، والاعتذار، والتهنئة ..

مثال التهنئة : قول خديجة للرسول صلى الله عليه وسلم" إنه الملك" فهي تهدىء من روعه وتهنئه بأن ما حدث له تحت الغار لم يكن من أفعال الجن أو الشياطين بل هو وحي إلهي حمله إليه المَلَك فهو البشير المهنئ للرسول بشرف حمل الرسالة وتبليغها.

- الإخباريات:

يؤدي تنفيذها إلى تناظر بين المحتوى الإخباري والواقع(كتسمية المولود، أو تسمية السفينة... المقدمة ، ص ٩٢

مثال ذلك : ".... وقوع الخوارق لهم شاهدة بصدقهم وهي أفعال يعجز البشر عن مثلها فسميت بذلك معجزة ، المقدمة ص ٩٣" فتتناظر المعجزات مع كل ما جاء خارقًا للعادة ولم يستطع البشر الإتيان بمثله .

ويرى سيرل بأن هناك أمور تحكم الأفعال الإنجازية:

– اختلاف الترتيب بين الكلمات والأشياء، ويتعلق الأمر بالنسبة للآخرين بالحصول على مطابقة العالم للكلمات.فلتكن الكلمات الأولى مثلاً إذن توكيدات، والثانية وعوداً أو آوامر ..

– اختلافات بالنسبة لغاية الفعل. فنجد غاية اغلب الأفعال الكلامية في مقدمة ابن خلدون جاءت توكيدية "وقد رأينا ، وقد ذكرنا ، إنه ، نحن نرى ، والله ورسوله أعلم ، وهو ولي الفضل والكرم ....."

– اختلافات تمس الحالة النفسية المعبر عنها: ففي نظرات عبدالرحمن شكري نفسر هذه الاختلافات في العوامل التي أثرت في حياة كل من لاروشفوكولد و ليوباردي و شبنهور ، حيث أدت هذه العوامل أثرها في تفكير كل منهم وبالتالي في أقوالهم التي هي بمثابة أفعال كلامية – من خلال النظرية التي تقوم عليها الدراسة –فهم يحاولون بأقوالهم تقديم مد يد العون لمن يريد فهم النفس الإنسانية .

– الاختلاف في حدة الالتزام المعبر عنه في التقديم وجهة الإنجاز :
– اختلاف مقياس أوضاع المتكلم والمستمع في حدود حساسية قوة إنجاز الفعل.
– الاختلاف في الطرق التي يرتبط بها القول بمصالح المتكلم والمستمع.
– اختلافات في العلاقة بمجموع الخطاب والسياق الخطابي.
– اختلافات في أسلوب إنجاز الفعل الإنجازي.[١]

بالاطلاع على هذه النقاط الأخيرة نجد أن دراسة الأفعال الكلامية في كلا الكتابين – نظرات في النفس والحياة ، مقدمة ابن خلدون – تكاد تخلو من الأفعال الكلامية المباشرة وغياب العنصر الحواري الذي يترتب عليه معرفة مدى القوة الإنجازية للفعل لذا تتوقف القوة الإنجازية حسب أوضاع المتلقي أو القارئ، مع الإشارة إلى أنه وردت في مقدمة خلدون نصوص حوراية قليلة جدا وغير كافية ، جاءت هذه النصوص في إطار الحديث عن نزول الوحي .

١ المقاربة التداولية،أرمينكو، ص ٦٢ و ٦٦.

و يقدم سيرل أسوة بأوستن عددا من الشروط يتجاوز فيها قصور الشروط التى قدمها أوستن. يضع سيرل شروطا إضافية تحكم الاتصال الإنجازى نعرض لها بإيجاز.[1]

- شروط المدخل والمخرج الاعتيادية

يفترض سيرل أن يكون الاتصال صريحا وجادا وأن يتم بين مرسل ومتلق يشترط لهما توفر القدرة على الإتصال فيما بينهما عضويًا ونفسيًا .

- شرط المحتوى القضوي .

ينبغى أن يعبر فعل التلفظ عن قضية .

أن تسند القضية الى المتكلم فعلا مستقبليا

- شروط تمهيدية

أن يفترض المتكلم أن المستمع يريد أن يقوم بالفعل وأن يصدق افتراض المتكلم بحيث يكون المستمع راغبا فعلا فى ذلك .

- أن يكون أمر إنجاز الفعل من قبل المتكلم غير واضح لدى المتكلم والمستمع.
- شرط الصدق أن ينوى المتكلم إنجاز الفعل الذى تسنده له القضية المصرح بها
- الشرط الأساسى أن يقصد المتكلم أن يلزمه تلفظه القيام بالفعل مناط التلفظ..
- شرط المعنى غير الطبيعى أن يقصد المتكلم أن يدرك المستمع أن المتكلم ملزم بالقيام بالفعل من خلال تلفظه. وأن يكون هذا الإدراك من قبل المستمع قائم على معرفة المستمع بمعنى تلفظ المتكلم.
- الشرط التعريفى لا يكون تلفظ المتكلم صحيحا ولا وعده صادقا ما لم تستوفى الشروط السابقة .

هذا وقد حاول سيرل أن يحصر أفعال الكلام فى اللغة عبر تصنيفه لها فى خمسة أنماط رئيسة[2]:

١- أفعال تمثيلية وهى الأفعال التى تلزم المتكلم بصدق القضية المعبر عنها ومن أمثلتها أفعال التقرير والإستنتاج.وهذه الأفعال واضحة بشكل كبير في كتاب عبدالرحمن شكري حيث يعمد كل أديب إلى أقوال يقرر فيها حقيقة من حقائق النفس الإنسانية ثم يمثل لها أو يتناولها بالتوضيح أو يشرح تصرفاً ما ليتوصل به إلى استنتاج معين .

---

١ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، نحلة، ص ٥١ .

٢ إستراتيجيات الخطاب، الشهري، ص ١١٧.

مثل قول شكري "لكن لاريب أن جهل النفس صفاتها وطبائعها هو العمى الروحاني، ص٤٤

"الجوع أصلح للبدن من إكثار الأغذية ، المقدمة ص ٩٠"

٢- **أفعال توجيهية** وهى الأفعال التى تمثل محاولات المتكلم لتوجيه المستمع للقيام بعمل ما ومن أمثلتها أفعال الطلب والسؤال.

مثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم لابن صياد حين سأله كاشفًا عن حاله بالأخبار : "كيف يأتيك هذا الأمر ؟المقدمة ، ص ١٠١" وقد أدى هذا السؤال دوره من ناحيتين الأولى إجابة ابن صياد على السؤال بأن هذا الأمر يأتيه صادقًا وكاذبًا .. الأمر الآخر دلالة هذه الإجابة على كذبه فالنبوة لا تكون إلا صادقة ولا يعتريها الكذب مطلقًا.

٣- **أفعال التزامية** وهى الأفعال التى تلزم المتكلم بالنهوض بسلسلة من الأفعال المستقبلية ومن أمثلتها أفعال العرض والوعد والوعيد

قول شمشون " علي وعلى أعدائي ، شكري ، ص ٥٢" **يتوعد بالانتقام لما لاقاه من مرارة الظلم**

٤- **أفعال تعبيرية** وهى الأفعال التى تعبر عن حالة نفسية المتكلم ومن أمثلتها الشكر والاعتذار والترحيب والتهنئة.

"**وبعث سلامًا للترجمان ، المقدمة ، ص ٧٩** "

٥- **أفعال إعلانية** وهى الأفعال التى تحدث تغيرات فورية فى نمط الأحداث العرفية التى غالبا ما تعتمد على طقوس اجتماعية فولغوية تتسم بالإطالة ومن أمثلتها أفعال الحرمان الكنسى وإعلان الحرب وطقوس التنصير والزواج وأفعال الطرد والإقالة من العمل.

مثل قول أبو بكر لابنته عائشة في وصيته "وإنما هو أخواك وأختاك" حيث كانت هذه الوصية في شأن ما نحلها من أوسق التمر من حديقته ثم نبهها على جذاذه لتحوزة عن الورثة .

استطاع سيرل أن يميز بين الأفعال الإنجازية المباشرة، والأفعال الإنجازية غير المباشرة[١]، فبين أن الأفعال الإنجازية المباشرة: هي التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم، أي أن ما يقال مطابق لما يُعنى، أما الأفعال الإنجازية غير المباشرة: فهي التي

١ دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، أحمد المتوكل، الدار البيضاء للطباعة والصحافة والنشر ، ، ١٩٨٦،.ص٩٤

تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم. ولا يمكن للمخاطب أن يتوصل إليها إلا عبر عمليات ذهنية استدلالية متفاوتة من حيث الطول والتعقيد. وهذه المراحل الاستدلالية التي يمر بها الذهن هو ما تركز عليه الدراسة التداولية.

مثل ذلك إذا قال شخص لآخر: هل تستطيع أن تناولني الملح؟

فهذا فعل إنجازي غير مباشر، إذ قوته الإنجازية الأصلية تدل على الاستفهام الذي يحتاج إلى جواب، وهو مصدر بدليل للاستفهام(هل). لكن الاستفهام غير مراد المتكلم، بل هو طلب مهذب يؤدي معنى فعل إنجازي مباشر هو: ناولني الملح.

وقد لاحظ سيرل أن أهم البواعث للأفعال الإنجازية غير المباشرة هو التأدب في الحديث[1]. كما أن الأفعال الإنجازية غير المباشرة عند سيرل لا تدل هيئتها التركيبية على زيادة في المعنى الإنجازي الحرفي، وإنما الزيادة فيما أطلق عليه سيرل معنى المتكلم، وأن السامع يصل إلى هذا المراد من خلال مبدأ التعاون الحواري عند جرايس، وإستراتيجية الاستنتاج عند سيرل .

ولو انتقلت الدراسة إلى مادتها التطبيقية – كتابي ابن خلدون و شكري – فإن جل أفعالهما الكلامية جاءت غير مباشرة ، ماعدا نزر يسير بالكاد تبينته الدراسة في كتاب ابن خلدون .

الأفعال الكلامية في كتاب ابن خلدون :

– (الأول والثاني من الأقاليم المعمورة أقل أقل عمرانا مما بعدها وما وجد من عمرانه ..... وذلك لإفراط الحر وقلة ميل الشمس فيها عن سمت الرؤوس ... ص ٤٩)

فابن خلدون من خلال وصفه للأقاليم العمرانية وتعليلاته لكثرة العمران في إقليم دون آخر لا يعطي لنا مجرد معلومة ، فالقارئ يتسنى له أن يتبين من ذلك أهمية اختيار المكان المناسب للسكن من حيث الجو وحرارة الشمس ، أيضًا يستطيع التنبه إلى فطنة الإنسان منذ القدم أهمية اختيار المكان حيث اهتدى إلى ذلك بفطنته الفطرية دون علم وتعلم .

– وعلى النحو نفسه قوله (سبعة أقسام من الشمال إلى الجنوب .... ثم ذكر مواصفات كل إقليم ... ص ٥٢ إلى ٨١) نستطيع أن نعد الكثير مما قاله هنا أفعالًا

١ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، نحلة، ص ٥١.

كلامية غير مباشرة ، فابن خلدون لا يريد مجرد الإخبار بحيثيات المكان فقط بل يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك كتقديم تعليلات لما ذكر من صفات كل إقليم فهو يوظف جغرافية المكان وينبهنا إلى دور الأماكن أو الأقاليم في تكوين سمات سكانها .

– (فلما تعلموا اللسان العربي أخبروهم عن حال جزائرهم ....و أن الحديد مفقود بأرضهم ..... فلذلك لا تلج فيه السفن ..... وهي لبعدها لا تدركها أضواء الشمس ... ص ٥٣: ٥٤)

هذه الأخبار التي قدمها الإفرنج في جزر البحر المحيط جهة غربية الجزائر للعرب حين استطاعوا تعلم العربية لم يذكروها لمجرد الإخبار فقط بل حملت بداخلها تحذيرات مما قد يواجه العرب الفاتحين في هذه الأرض من أخطار بالإضافة إلى ذلك تحمل هذه التحذيرات رسائل تنبئنا عن تقبل هؤلاء الإفرنج للعرب حين دخلوا بلادهم وما كان ذلك ليحدث لولا حسن تعامل العرب معهم .

– (هذه الأقاليم المعتدلة ليس كلها يوجد بها الخصب ولا كل سكانها في رغد من العيش ص ٨٧) ، (هؤلاء الفاقدين للحبوب والأدم من أهل القفار أحسن حالًا في جسومهم ... ص ٨٧) ، (كثرة الأغذية و كثرة الأخلاط الفاسدة العفنة ورطوبتها ..... يتبع ذلك انكساف الألوان وقبح الأشكال ... ص ٨٨) ، (أهل الأقاليم المخصبة العيش الكثيرة الزرع .... يتصف أهلها غالبًا بالبلادة .... ص ٨٨) ، (أهل الحضر والأمصار .... لا يغبطون السمن من بين الأدم لتفاهته .. ويخف ما تؤديه إلى أجسامهم من فضلات رديئة ... ص ٨٨) ، (أثر هذا الخصب يظهر حتى في حال الدين والعبادة .... ص ٨٩) ، (واعلم أن الجوع أصلح للبدن من إكثار الأغذية .... ص ٩٠)

فهذه العبارات على والكثير مما احتوته مقدمته الخامسة "في اختلاف أحوال العمران في الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك من الآثار في أبدان البشر وأخلاقهم " نجدها كلها أفعال كلامية غير مباشرة تحمل في طياتها توجيهات عديدة إلى جوار شكلها الإخباري في الظاهر ، فبقراءة فاحصة وتمعن دقيق نستشف تنبيهات دقيقة ونصائح طبية و إرشادات دينية ، وغير ذلك مما أوحته عباراته فهو ينفي بـــ (ولا كل سكانها في رغد) انطباق أقواله وأوصافه لإقليم ما على كل من ينتمي لهذا الإقليم ، كما يؤكد لنا طبيعة الاختلاف بين البشر ، أما (كثرة الأخلاط .... يتبع ذلك انكساف) و(.. يتصفون بالبلادة ...) وغيرها من عباراته تلك تؤكد لنا حقيقة تأثير الغذاء في

اللون والشكل ، كما نلمس فيها نصائح طبية بأهمية التقليل من الطعام والأكل بقدر الحاجة فقط والابتعاد عن "كثر الأخلاط" فهو يحذر من العواقب الوخيمة التي تكون نتيجة للإكثار من الطعام من عدة جوانب ؛ فمن جانب الشكل فعواقبها سيكون لهذا الإكثار أثره في بهتان لون البشرة وقبح الشكل أو المظهر ، ومن الجانب العقلي فحتما لها تأثير ذهني كالبلادة ، بل نبه إلى تأثير هذه الأطعمة مباشرة في صلابة الفضلات حيث يوجه إلى الطرق اتي تعمل على تخفيف صلابتها (.. لا يغبطون السمن ..) ، فهو أيضًا إلى جانب اهتمامه بالجسد وبيان تأثير الأطعمة عليها لا يهمل الروح فهو يحذر من مغبة الإكثار من الطعام على صفاء النفس وزهدها وانصرافها بها عن الطاعة والعبادة .

– العبارات التي يرددها ابن خلدون كثيرًا في كتابه.. مثل (والله أعلم ، والله الموفق للصواب ، والله سبحانه وتعالى يعصمنا بمنه وفضله ، الله ورسوله أعلم ، والله يهدي من يشاء ، والله الحكيم الخبير ، وقد استأثر الله بعلمه ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون...) حيث عمد ابن خلدون من تكرارها عند الانتهاء من كل موضوع بل في ثنايا الموضوع نفسه ، فخلف هذه العبارات الصادقة التي لا تحتمل الكذب مطلقًا نلتمس توكيدات من ابن خلدون نفسه بعدم ادعاءه إحاطته بالعلم و إثباتات قصور ما أوتي من العلم عن علم الواهب المنان جل جلاله فهو لا يفتأ يعظمه بعد كل حديث .

وهكذا نستشف أن ابن خلدون عمومًا يحدد التاريخ بأنه "في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها"، وذلك لأن التاريخ "هو خبر عن المجتمع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة هذا العمران من الأحوال" ، فيستفيد المطلع على هذا التاريخ من أحداث أقوام سبقوه لجعل حياته الحاضرة أفضل .

– أما حين ننتقل إلى المادة التطبيقية الأخرى من كتاب شكري " نظرات في النفس والحياة " ، فإننا نتين أولًا تعلق كتابه عمومًا بالنفس البشرية وهو بعيد كل البعد عن موضوعات ابن خلدون إذ نستطيع حصره بالجوانب الأخلاقية لطباع النفس ومحاولة فهمها وتحليل طباعها لتستطيع هذه النفس أن تستدل دربًا تتطهر فيه من أدرانها.

– في بداية حديث شكري عن الأدباء المفكرين في كتابه تمكث الأفعال الكلامية خلف العبارات الموجزة التي تحدث فيها عن حياة كل منهم فيقول (فقد سخط الأول

..... أما الثاني .... وقد أنهك نفسه .... وأما شوبنهور فقد رحل أجداده ....ص ٤٤ : ٤٥) فشكري هنا لم يقصد فقط إخبار قراءه عن حياتهم بل تقديم تعليلات لما جعلهم يقدمون على تدوين هذه الآراء ونشرها فالقارئ حين يطلع على هذه التعليلات يكون أقرب إلى الاقتناع بحديثهم وبالتالي التأثر به ؛ ولقد صرح شكري قبل تقديم آرائهم بقوله "ولقد كانت في حياة كل منهم عوامل أدت إلى التفكير في النفس والصراحة في القول وإلى الإلمام بمكنونات النفس .... ص ٤٤"

– (وكان لا يحجم عن البحث في دخائل نفسه ، كما يبحث دخائل نفوس الناس ... ص ٤٦) ظاهر هذه العبارة النفي لكنها تؤكد لنا مدى اهتمام شوبنهور ببحث النفس الإنسانية عمومًا وعدم اكتفاءه ببحث نفسه بل بحث الآخرين ربما للمقارنة أو إثبات صحة ما توصل إليه من حقائق هذه النفس وتعميم آرائه .

– (الحسود يخجل أن يفتخر بلؤم الحسد ... ص ٤٦) ظاهرها الإخبار ، لكنه بقوله هذا ينفي أن يوجد من يفتخر بأنه حاسد فالحسد صفة ذميمة لا يمكن أبدًا للمتصف بها أن يفخر بها ، كما نستشف من قوله (فإذا افتخر حمل ما ظهر منه على سبب آخر غير الحسد) نستشف من ذلك مواساة للأشخاص الناجحين ممن يضيق على نجاهم الخناق بادعاء أسباب واهية ومضللة فهؤلاء المثبطين والمحبطين حملهم الحسد على أساليب ملتوية لعدم مقدرتهم على الإفصاح عن الحسد الذي يغمر قلوبهم .

– أما قول شكري نفسه عن شوبنهور (وهذا من السخر الكثير الذي نجده في نظرات هذا المفكر) فإننا نلتمس نفيًا منه ورفضًا لآرائه فهو لا يقبلها كما هي بل يحوره كما يراه من منظوره الخاص فيعبر عن رأيه بأن ما يقوله شوبنهور قد يصدق أو لا يصدق .

– (نجاحًا لا يتفق مع عظم قدره وقلة ما يعرفون ... ص ٤٧) ظاهر قوله النفي لكنه يحمل إلى جانب هذا المعنى تعجبًا بل استياءًا من حال بعض أصحاب المناصب الرفيعة وهم لا يستحقونها .

– (الكسل والكبر يحملان أكثر الناس على الميل إلى اعتقاد النقص في غيرهم ....ص ٤٨) تحمل هذه العبارة في داخلها توجيها للنفس إلى نبذ هاتين الصفتين الذميمتين وما يحدث لمن يتصف بهما من الجنوح إلى نشوة الاعتقاد بالكمال واتهام الآخرين بعقدة النقص .

- (لا حبًا للصواب واقتناعًا به .... وإلا بقي على عماه ... ص ٤٨) فهذا تعميم لطباع النفس البشرية واتسامها بالغفلة وميلها إلى العناد فهي قد تعترف بالخطأ وتقر به لكن ذلك لا يكون عن قناعة بل حبا للظهور ونيل إعجاب الناس ، فكأنه يوجهنا إلى إدراك هذه الحقيقة .

- (المشهورين في هذا العصر .... متناسين وصف سيجموند فرويد للوعي الباطن ، ولعل في علمهم هذا أيضًا شيء من الحسد ... ص ٤٨) نلتمس مما قاله لاروشفوكولد توجيهًا إلى البحث في نظرية سيجموند فرويد لنعرف اتجاهه المخالف لتفسيرات العصر رأيها حول الإعجاب بالعظماء وأنه يكون عن بعد فالاقتراب يكشف الكثير من التفاصيل التي تشوه هذا الجمال فيقل الإعجاب أو يختفي ، كما أن لاروشفوكولد نفسه يجد في آراء فرويد تفسيرًا وتدعيمًا لرأيه المخالف لآراء عصره فيسوقه هنا إلى جانب رأيه .

- (لا يظن أن كل الناس يسهل خداعهم على كل حال ، ص٤٩) يظهر لنا من خلال ذلك أن ليوباردي يبرهن لنا بهذا القول أن الناس ليسوا سواسية في تقبل الانخداع و الوقوع في مصيدته فهناك من يقع فيه بسهولة ومن يصعب خداعه بل منهم من لايمكن خداعه أبدًا ، كما يتبع ذلك بتفسيره لمستويات المخادعين أنفسهم فهم ليسوا سواء ، كما ينتج عن ذلك انقلاب السحر على الساحر ووقوعه في الانخداع ، كما يقدم لنا تحذيرا بقوله (واعتقاد الصدق وسلامة النية في المخادع قد يعمي عن خداعه) .

- (.....ماما مولعة بالشر ص ٥٠) ، هنا أيضًا فعل كلامي غير مباشر ، فالطفل حين يقول ذلك لا يعني حقيقة أن الأم هكذا ، بل هو وسيلة طفولية بريئة من الطفل يعبر فيها عن غضبه من أمه إذا لم تحقق له شيئًا من مطالبه ، قد ينتج عن هذا الفعل الكلامي أكثر من تأثير فربما ضحكت الأم على عبارة طفلها، أو ربما أفزعها هذا الظن السيء بها من ابنها فتهرع إلى تحقيق مطلبه ، أو قد يؤدي بها ذلك إلى السخط فترفض تحقيق مطلبه استياء منها لهذا التلفظ .

- (إن مهارة القصصي في تقليم الحقيقة وتنسيقها ونفي المبالغة فيها ..... يزيل وحشة الخلاف ... ص ٥١) توحي لنا هذه العبارة بأهمية دور القاص في رواية الأحداث وما يجب أن تلتزمه القصة من أمانه الرواية و اختيار الألفاظ المناسبة للحديث ، فمن خلال أسلوب الراوي نفسه تظهر قوة عملية الفعل اللغوي المتمثلة في السرد الذي يعتبر وسيلة لغوية يوظفها الراوي للتأثير في المتلقي .

– (كثيرًا ما ينطق الإنسان بأقوال قد تضره معرفة الإنسان لها.... لأن الإنسان بطبعه حيوان معجب بنفسه ... ص ٥١) نجد غاية قول ليوباردي هنا التحذير من مغبة الحديث عن النفس والتفاخر بها الناتج عن الطبيعة الحيوانية للإنسان والتي تدفعه للإعجاب بنفسه إلا أن هذا الإعجاب والتحدث عنه كثيرًا ما يضر ولا ينفع ، وقد جاء تحذير ليوباردي هنا مشوبا بالسخرية .

– (كثير من الناس عدوا من العظماء بالرغم من شرهم الكثير ، ص ٥٧) ، هنا فعل إنجازي استدعى لاروشفوكولد إلى القيام بفعل تأثيري برز لنا في النص من خلال استدعاء قول هنري هين الشاعر الألماني (إن شجرة الإنسانية قلما تذكِّر بالزارع ....) حيث تذكر هذا العبارة وهو من خلال ذلك يحاول تفسير الشر الكثير الذي يراه ملازمًا لسير العظماء الذين شكلوا حوادث التاريخ ونشروا الحضارات .

– (أين تنتهي الفكاهة وأين يبدأ الجد ؟ ، ص ٦٤) فعل كلامي غير مباشر ظاهره الاستفهام إلا أن الإنجاز الناتج ينحو منحى آخر بعيد عن الاستفهام فهو ينجز هنا تفسيرًا لرؤيته حول كتابات برنارد شو أو أوسكار وايلد إذ تمتزج فيها الفكاهة بالجد وتختلط خلطًا تضيع معه معالم الحقيقة .

– (القدوة عدوى ، ص ٦٧) عبارة شديدة الإيجاز إلا أن القوتان الإنجازية والتأثيرية لها تحملان الكثير والكثير ، فنحن نجد هنا إثباتًا و تحذيرا وتوجيها واستدعاءًا يثبت حقيقة تأثر الإنسان بقدوته وتقليده له فهو كعدوى المرض التي تنتقل أعراضها مباشرة عن طريق قرب جسد صحيح بآخر سقيم ، كما يحذر من مغبة الاختيار السيء و يوجه إلى اختيار الأشخاص الكفء ، وبطبيعة الحال أي قارئ لهذه العبارة سيستدعي التحذيرات السابقة التي وجهت له من قبل عن أهمية اختيار القدوة .

– (الغرور يسبب امتعاض الغير ...كثيرًا ما يحمل المرء على ما يخلف طبائع نفس صاحبه ... ص ٧٠ ، ٧١)تنبئ أقواله عن رفضه للغرور ، وطريقته في الرفض ونعته بالمرض والألم توجه القارئ إلى نبذ هذه الصفة والتخلي عن هذه الصفة الذميمة لما تحمله من صفات تؤدي إلى إيغال القلوب وتنافرها .

– (لاروشفوكولد إنما استنبط ما استخرج من آراء النفس ....ص ٧١)

شكري هنا لا يريد تعريفنا بما قام به لاروشفو بقدر ما يحاول التأثير في القارئ وإقناعه بفكر لاروشفو عن طريق توظيف أقواله في تطهير النفس من أثرتها وأطماعها

الدنيوية ، محاولا الارتقاء بهذه النفس والسمو بها عن نزواتها ، كما أن هذه الأثرة ليست بهذا السوء على كل حال فلها مظاهرها وآثارها الفاضلة في الحياة البشرية .

وهكذا تنهي الدراسة مادتها التطبيقية الثانية ، وهي حسب نظرية الأفعال الكلامية – كما بينا مسبقاً – في غالبها أفعال تمثيلية تلزم المتكلم بصدق القضية المعبر عنها حيث يعمد كل أديب إلى أقوال يقرر فيها حقيقة من حقائق النفس الإنسانية ثم يمثل لها أو يتناولها بالتوضيح أو يشرح تصرفاً ما ليتوصل به إلى استنتاج معين .

وهكذا نجد أن الأقسام للأفعال الإنجازية، عند أوستن أو سيرل، ترتبط ارتباطا عضويا بمفهومين أساسيين آخرين، أو ببعدين محوريين، يمثلان إلى جانب مفهوم الفعل الأطر العامة للمقاربة التداولية، التي تحاول تحديد المعنى، لا من منطلق إشكالية العلامة،بل من منطلق العلاقة التي تتأسس في العملية التواصلية بين المشتركين،وهما[1]:

- مفهوم السياق: ويعني الموقف الفعلي توظف فيه الملفوظات، والمتضمن بدوره لكل ما نحتاجه لفهم وتقييم ما يقال.
- مفهوم الكفاءة: وبقصد بها، تماشيا مع المعنى الأصلي للكلمة، إنجاز الفعل في السياق.

وبصياغة مغايرة ومبسطة، يمكن القول: إن الكفاءة هي حصيلة إسقاط محور الفعل على محور السياق، هذا الإسقاط الذي يختلف المتكلمون في مستوياته ودرجاته، وبناءا عليه تتحدد كفاءتهم التواصلية.

ولقد أشارت الدراسة مسبقاً إلى أن سياق الأقوال والنظرات التي قدمها عبدالرحمن شكري في كتابه " نظرات في النفس والحياة "نستطيع القول بأنه جاء في إطار محاولة وصف النفس والبحث في دهاليزها والكشف عن أغوارها –على سبيل التأمل والتفكير لا على طريقة القصص والتصوير – لتكون بمثابة إما وصف هذه النفس أو إثبات حقائقها أو التحذير من نزواتها لتصبح أفعالاً تنجز أثرًا لدى متلقيها .

النقد الموجه لنظرية أفعال الكلام[2]، أما الكفاءة فإن حصيلة إسقاط محاور الأفعال الكلامية التي بينتها الدراسة على محور السياق العام لكتاب عبدالرحمن شكري ، إلى جانب معرفة مكانة عبدالرحمن شكري وإسهاماته الأدبية و الفكرية وأعماله التجديدية ،

---

١ اللسانيات التداولية في ضوء الدراسات العربية"أحمد المتوكل أنموذجا–أ.راضية بن عريـــبة ، جامعة حسيبة بن بوعلي –الشلف

٢ ينظر : أفعال الكلام.. كيف تنجز الأشياء بالكلمات ، جون أوستين. نظرية أوستين ، عرض وترجمة: منصور العجالى – العرب أونلاين – ٣٠،٠٧،٢٠٠٣ ، http://maamri-ilm٢٠١٠.yoo٧.com/forum

أيضًا أولئك الذين نقل نظراتهم إلينا عبدالرحمن شكري وهم "لاروشفوكولد وليوباردى و شوبنهور" بتوجهات كل منهم الفكرية سواء سخط الأول على حكومته ، أو إسراف الآخر في القراءة وسعة اطلاعه إلى جانب فطانته ، أو تنقل الثالث بين فرنسا وانجلترا مع ميله إلى دراسة النفس وبالتالي المقارنة بينهما .

فحصيلة هذه الأفعال إلى جانب مستويات أولئك المتكلمون هي التي حددت لنا كفاءتهم التواصلية التي سنحت لهم بتقديم هذه النظرات في وصف طبائع البشر بينما خبأت هذه النظرات تحت سترتها تحذيرات و نصائح و تنبيهات توجيهية وتطهيرية حيث تحمل هدفًا عامًا هو السمو بالنفس البشرية لتترفع عن أطماعها.

تعتبر نظرية أفعال الكلام من بين أولى النظريات التى حاولت بحث العلاقة بين الفعل والإيصال إلا أنها واجهت نقدا واسعا خاصة لمعجمها الإصطلاحي ولكونها أيضا قصرت تمييزها بين أفعال التلفظ الثلاثة على النتاج اللغوي فحسب فى حين أن مفهوم السياق العرفي المؤسساتي وهو المفهوم المركزي لهذه النظرية يقتضي اشتمالها لأنظمة التواصل والإشارات عامة اللغوي منها وغير اللغوي . ويظل مفهوم العرف مفهوما غائما فنحن لا نعرف إلى أي مدى تعتبر قوة القول Force او فعل قوة التلفظ مسألة عرفية وهل هي قصدية أم أنها مرتبطة بإحداث أثر ما. وهل يمكننا اعتبارها سلوكا صريحًا أم أنها مجرد سياق . لقد ظل هذا المفهوم مثار تساؤل لدى كثير من دارسي هذه النظرية، ولهذا السبب صرح أوستن فى كتابه "كيف تنجز الأسياء بالكلمات قائلا: إنه من الصعب أن تحدد أين يبدأ العرف وأين ينتهي .

كما يوجه النقد غالبا لنظرية أفعال الكلام عند كل من أوستن وسيرل لكونهما انشغلا بالتقديم والعرض لنموذج أحادي فى تناولهما لأفعال الإيصال كما فعل سيرل مع فعل "الوعد؛ على سبيل المثال ولم تتناول نظريتهما الإيصال ككل متداخل ذلك أن أفعال الاتصال نادرا ما تنجز فى عزلة عن بعضها البعض . ويحبذ كثير من الفلاسفة واللغويين المعنيين بدراسة هذه النظرية أن تحرص فى عرضها وتفسيرها للإيصال على تبني مفهوم واسع يحاكي المفهوم الشامل الذى طرحه فتجنشتاين، وهو ألعاب اللغة فى كتابه "أبحاث فلسفية" ١٩٥٣، والذى يقول فيه بأن معانى الكلمات فضفاضة تتحد مع استخداماتها المختلفة والخاصة بألعاب اللغة. ويرى فتجنشتاين أن الاعتقاد بأن اللغة يمكن أن تأسر الواقع ضرب من الخداع والسحر. ويشكك البعض فى أصالة طرح

أوستن ناسبين مفهوم فعل التلفظ وفعل قوة التلفظ إلى مفهومى فتجنشتاين-"Sentence Radical"و."Modal Element" .

وقد انتقد اللسانى المعروف جيفرى ليتش نظرية أفعال الكلام معيبا عليها فى الأساس خلطها بين الفعل النحوي أو الفعل الوظيفي وبين الفعل الإنجازي ثم إنه ربط لاحقا فى طرحه لمفهوم التأدب نوعين من الأفعال الإنجازية التى صنفها سيرل وهى الأفعال التوجيهية والأفعال الالتزامية بالأهداف التنافسية فى مبدأ اللباقة مشيرا إلى أنه كلما كانت قوة القول غير مباشرة كلما كانت أكثر تأدبا.

هذا وقد أشار دريدا الى وجود أخطاء فادحة فى نظرية أفعال الكلام فهو يرى أن كل العلامات بما فى ذلك أفعال الكلام مكررة، ولأنها يمكن أن تكرر أو تقتبس كان من الممكن اقتباسها خارج سياقها بل واقتباسها على نحو خاطئ. ويمضى دريدا مؤكدا أن القصد فى أفعال الكلام شيء يستحيل معرفته والجزم به، وأن أثر التلفظ لقول ما لا يمكن التنبؤ به وهو يسمى هذه الظاهرة بالتفتح الشبيه بانفلاق النبات وانتشار البذور وإذا كان أوستن يزعم أن أفعال الكلام التى تقال على خشبة المسرح فى قصيدة ما هى أفعال تتطفل على أفعال الكلام الاعتيادية فإن دريدا يرى أن أفعال الكلام اليومية هى مجرد مجتمعات وشركات محدودة قابلة لأن تقوض كل أنواع الأقوال التطفلية كما يراها أوستين بما فى ذلك مشاعر اللاوعي والدوافع والنزوات وغيرها.

كذلك تصنيف سيرل لم ينج من الانتقادات أهمها تلك التي وجهها وندرلايش وريكاناتي حيث يريان أن تقسيمه غير مقنع وأن أفعال الوعد مثلا لا تشكل نمطا كليا لأفعال الكلام ' إنما يتعين اعتبارها مجرد استجابات لأفعال التوجيه ، فسيرل يعتبر أن الاستفهام مثلا هو جزء من أفعال التوجيه ، في حين أن الاستفهام من الناحية النحوية نجده معلما أو موسومًا ،فإنه لابد أن يشكل بذاته فعلًا كلاميًا مستقلًا .

أضف إلى ذلك أن لا مكان في تقسيم سيرل للتحذيرات والاقتراحات ولاحتى للنداء والتضرع والدعاء ، ولذلك لتقديم بديل لهذا التصنيف ، اقترح وندرليش شروطا أخرى تؤسس تصنيفا جديدا وهي:

١. اعتماد العلامات اللغوية لأفعال الكلام : مثل أدوات الاستفهام وصيغ الأمر.
٢. اعتماد المحتوى والغاية الكلامية.
٣. اعتماد وظائف الأفعال في الكلام
٤. اعتماد مصدر الأفعال ، كأن تكون الأفعال أفعالًا كلامية وطبيعية واجتماعية.

هناك أفعال كلامية ممثلة أساسا وأخرى غير ممثلة ؛ الأولى تتمثل في التعبير عن سلوك اجتماعي تجاه المستمع ، فتنقسم إلى أفعال متحققة أو إنشائية وأخرى تقريرية .

والفعل الإنشائي بدوره ينقسم إلى فعل الوعد وفعل الإعلان وفعل الأمر .

النظرية العربية في دراسة الأفعال الكلامية[1] :

يقول ابن خلدون : "اعلم أن اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلم عن مقصوده . وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام [2]"

اتفق العرب القدامى على تمييز الإنشاء من الخبر ، مع الإشارة إلى تمايزهما في بعض الأحيان ، فقد كان هناك اتجاهان في دراسة هذه الأساليب : اتجاه نحوي يرى في الكلام كونه خبرا كله ، مثل اعتبار النحاة النداء خبرا . ثم الاتجاه الذي يقسم الكلام إلى أفعال كلامية مباشرة وأخرى غير مباشرة . ففي تصنيف الأفعال الكلامية غير المباشرة مثلا وجد هناك مذهبان في تأويلها : مذهب يتجه إلى اعتبار عدم مطابقة مقتضى الحال هو المتسبب في انتقال دلالة الفعل المباشر إلى دلالة أخرى ، ومذهب يعتبر أن البنية المنجزة تمثل الفعل المباشر وغير المباشر .

وإن ما كتب حول هذه الظاهرة عبر عنه بأساليب ومصطلحات مغايرة نظرا لاختلاف غاية الدراسة وموضوعها . فمثلا الفلاسفة والمناطقة استبعدوا التراكيب غير الخبرية ولو كانت دالة ومفيدة وقصروا تحليلاتهم على التركيب الخبري لأن الخبر هو ما يهتم به المنطقي للبحث فيه وهو وحده النافع في العلوم.

أما الأصوليون والفقهاء فقد تميز بحثهم للظاهرتين الأسلوبيتين معا برؤية تداولية محكومة بآلية البعد المقاصدي واتخذوا من البحث فيهما أداة لاستنباط الأحكام والقواعد الشرعية ، إضافة لمحاولاتهم لتقسيم الأساليب الإنشائية مثل محاولة نجم الدين الكاتبي الذي قسم الإنشاء إلى قسمين : إنشاء طلبي وغير طلبي . وتقسيم السكاكي الطلب إلى نوعين : " والطلب إذا تأملت نوعان : نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول ، .... ونوع يستدعي فيه إمكان الحصول"

---

١ ينظر : نحو قراءة جديد للتراث العربي والإسلامي بالوقوف على تداولية الأفعال الكلامية ، عمر بلخير و فاطمة الزهراء بوكرمة ، خطاب التجديد في الدراسات العربية بين النظرية والتطبيق ، جامعة إمام بونجول الإسلامية، ٢٠١٣ ،(نسخة الكترونية)

٢ مقدمة ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون ، مؤسسة الأعلى للمطبوعات ، بيروت ، د.ت ، ص ٥٦٥

التطبيق :

من خلال ما بينته الدراسة عن هذه النظرية توصلنا إلى أن الفعل الكلامي ينقسم إلى ثلاثة أنواع: فعل القول، والفعل المتضمن في القول، والفعل الناتج عن القول، وقد لايدل الفعل المتضمن في القول على دلالته المباشرة، بل يفيد معنى إنجازيا آخر غير مباشر يحدده سياق القول. بتعبير آخر، للجملة الواحدة ثلاثة مستويات: محتواها القضوي، وهو مجموع معاني مفرداتها، والقوة الإنجازية الحرفية، وهي قوة مدركة مقاليا، والقوة الإنجازية المستلزمة، وهي التي تدرك مقاميا. ويعني هذا أن أوستين يربط الأقوال بالأفعال، والمقال بالمقام. فأن نقول كلامًا، يعني أننا ننجز فعلا. ومن هنا، فنظرية الأفعال الكلامية تتبني على فعل القول (قول شيء ما) الذي يتخذ مظهرا صوتيا وتركيبيا ودلاليا، والفعل المتضمن في القول (إنجاز فعل معين ضمن قول ما)، وقد يكون فعلا مباشرا أو غير مباشر، والفعل الناتج عن القول (الآثار المترتبة عن قول شيء ما). ويتميز الفعل الكلامي بالمطابقة مع الواقع والسياق، والتعبير عن حالة نفسية، والقدرة على الإنجاز، واختلافه باختلاف منزلة المتكلم من المتلقي، والاختلاف في أسلوب الإنجاز، واختلاف القوة الإنجازية... كما قامت الدراسة بتطبيق هذه النظرية على أجزاء من كتابي :

- مقدمة ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون
- نظرات في النفس والحياة ، عبدالرحمن شكري

قائمة بأسماء المراجع:

- أحمد المتوكل. (١٩٨٩). **اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري.** منشورات عكاظ.
- أحمد المتوكل. (د.ت). **دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي.**الدار البيضاء للطباعة والصحافة والنشر.
- الشيخ مرتضى فرج. (٢٠٠٩). **الفلسفة الغربية وقراءة النص.**العدد ٤٤، مجلة البصائر.
- جون أوستين. (١٩٩١). **نظرية أفعال الكلام :كيف ننجز الأشياء بالكلام.** ترجمة: عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق.
- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون. (د.ت). **مقدمة ابن خلدون.** مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت.
- عبد الرحمن شكري. (١٩٩٨). **نظرات في النفس والحياة.** الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري. (٢٠٠٤).**استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية.**دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ليبيا.
- عثمان طالب. (١٩٨٦). **البراغمتية وعلم التراكيب بالاستناد إلى أمثلة عربية.**الجامعة التونسية، أشغال الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات.
- عمر بلخير، وفاطمة الزهراء بوكرمة. (٢٠١٣). **نحو قراءة جديد للتراث العربي والإسلامي بالوقوف على تداولية الأفعال الكلامية،خطاب التجديد في الدراسات العربية بين النظرية والتطبيق.**جامعة إمام بونجول الإسلامية، (نسخة الكترونية)
- فان ديك. (د.ت). **النص والسياق.**ترجمة: عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق.
- فرانسواز أرمينكو. (١٩٨٧). **المقاربة التداولية.** تحقيق: سعد علوش، دار الانتماء القومي، بيروت.
- فولنجانج هانيه مان، وديتر فيهفجر. (٢٠٠٤).**مدخل إلى علم لغة النص.** ترجمة: سعيد بحيري، مكتبة زهراء الشرق، ط١، القاهرة.
- محمد أديوان. (١٩٩٤). **نظرية المقاصد بين حازم ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة.**مجلة الوصل، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة تلمسان، العدد الأول.
- محمود أحمد نحلة. (٢٠٠٢). **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر.**دار المعرفة الجامعية.

- مسعود صحراوي. (٢٠٠٤). **الأفعال الكلامية عند الأصوليين**.مجلة الدراسات اللغوية، يوليو– سبتمبر، الرياض.
- ن. ي. كولنج، وجيفري ليش، وجيني توماس. (٢٠٠٠). **اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق)**.الموسوعة اللغوية، ترجمة: محي الدين حميدي وعبد الله الحميدان، الرياض، جامعة الملك سعود.
- جميل حمداوي. (٢٠١٢). **قصيدة "تشيد الجبار"، لأبي القاسم الشابي.**

http://www.diwanalarab.com.

- خليفة بولفعة. (د.ت). **أفعال اللغة والخطاب الأدبي.** جامعة الأغواط، موقع الأستاذ محمد جابري، انظر

http://www.mhammed-jabri.com

- عادل الثامري. (٢٠٠٦). **نظرية أفعال الكلام**.جريدة الجريدة، انظر

http://www.aljaredah.com

- محمد محمد يونس علي. (٢٠١٠). **نظرية أفعال الكلام**.منتديات تخاطب، انظر

http://www.ta٥atub.com

- ويكبيديا http://ar.wikipedia.org/wiki
- **اللسانيات التداولية في ضوء الدراسات العربية"أحمد المتوكل أنموذجًا"**.جامعة حسيبة بن بوعلي –الشلف. انظر

https://ar-ar.facebook.com/٦١٨٦٤٤٠٠٤٨٦٠٦٨٢/posts/٦٢٦٨٢٦٦٠٧٣٧٥٧٥٥/.

- **نظرية أوستين**.عرض وترجمة: منصور العجالي. انظر

http://maamri-ilm٢٠١٠.yoo٧.com/forum.